راث الإنسانية

عجائب المخلوقات

للقزوينى

د. عبدالحليم منتصر



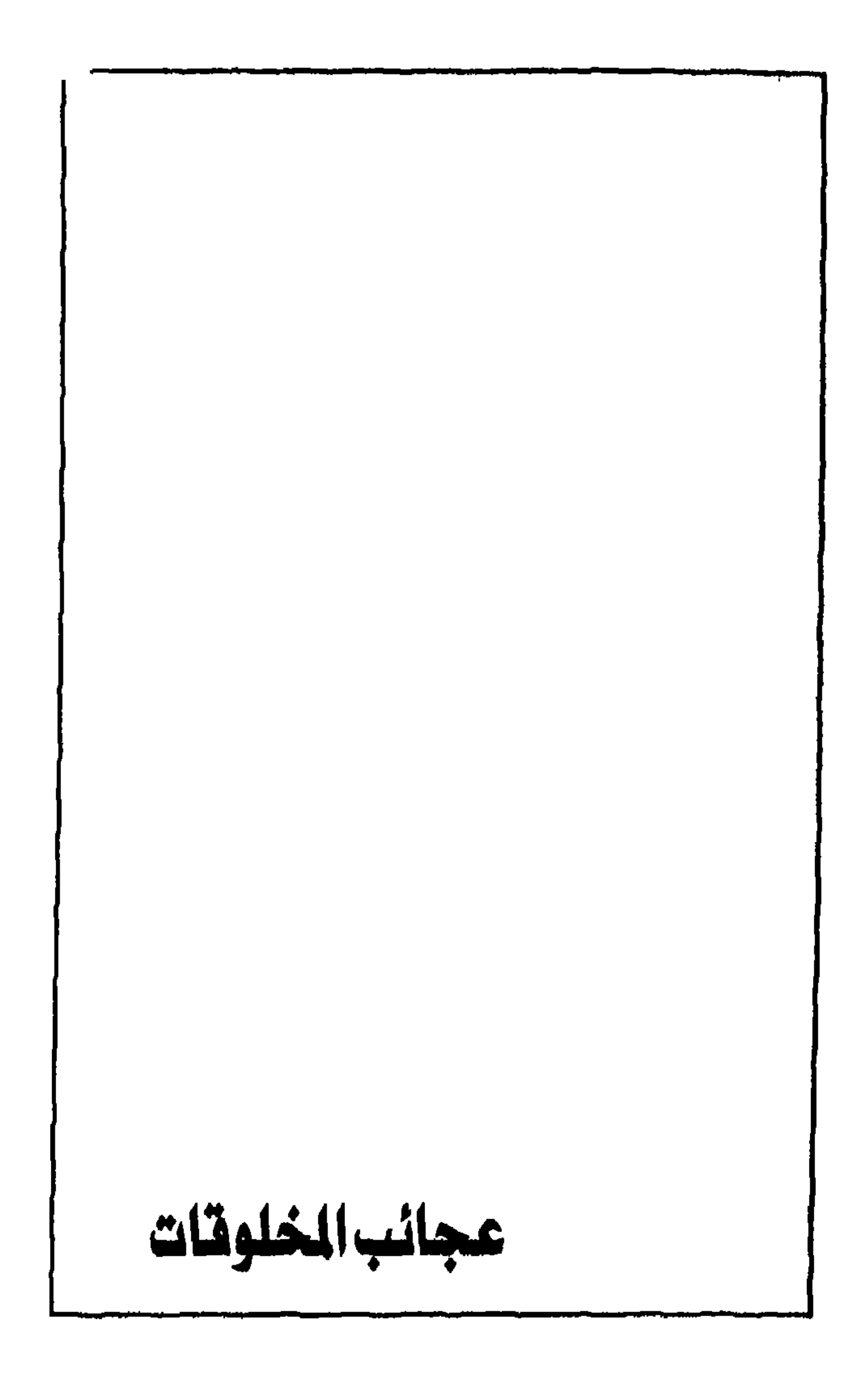
الهيئة المصرية العامة للكتاب

039

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

اهداءات ٢٠٠٢

د/محمد عبد الفتاح الغمراوى
الاسكندرية



عجائب المخلوقات

عجائب المخلوقات

للقزوينى

د . عبدالحليم منتصر



مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

عجائب المخلوقات

للقزوينى

د . عبد الحليم منتصر

القزوينى

هو زكريا بن محمد بن محمـــود ، يصعد نسبه الى الإمام مالك · ولد فى قزوين (بين رشت وطهـــران) سنة ٦٠٥ هـ ــ ١٢٠٨ م ، ورحل فى شبابه الى دمشق وتعرف الى ابن العربى ، ثم استقر فى العراق فولى قضاء واسط والحلة فى خلافة المستعصم العباسى · وكان فى ذلك المنصب عندما سقطت بغداد فى قبضة المغول · وتوفى فى السابع من المحرم سنة ٦٨٢ هـ ــ ١٢٨٣ ·

وكان ــ الى اشتغاله بالقضاء ــ معنيا بالتأليف فى الجغرافيا والتاريخ ، وقد عرف من كتبه فيهما :

١ ــ عجائب المخلوقات : تكلم فيه عن الســماء وما فيها ــ وهو علم الفلك ــ فوصف الكواكب والأبراج وحركاتها وما يترتب على ذلك من فصول السنة والشهور

والأيام . وتكلم عن الأرض وما عليها ــ وهو من قبيل التاريخ الطبيعي أو الجغرافيا الطبيعية ــ فذكر أصل الأرض وطبيعتها ، وكرة الهواء وأصول الرياح وأنواعها ، وكرة الماء وما فيها من البحار والجزر والحيوانات العجيبة ، ثم كرة الأرض ــ أى اليابس ــ وما عليها من جماد ونبات وحيوان . ورتب كلا من الحيوانات والنبات على حروف المعجم .

٢ ــ آثار البلاد وأخبار العباد : في التاريخ ، ابتدأه بعد الديباجة بثلاث مقدمات :

الأولى في الحاجة الماسة الى أحداث المدن والقرى ، والثانية في خواص البلاد ، وقسمها الى فصلين :

الأول : في تأثير البلاد في السكان .

الثاني : في تأثير البلاد في النبات والحيوان .

الثالث ــ في أقاليم الأرض .

ثم أفاض بعد ذلك في أخبار الأمم الماضية وتراجم كثير من الأولياء والعلماء والسلاطين والشعراء والوزراء والكتاب وغيرهم .

٣ ــ خطط مصر .

٤ ــ الارشاد في أخبار قزوين .

شغف بالفلك ، والطبيعة . والنبات ، والحيوان والجيولوجيا بنوع خاص . ويعتبر كتابه « عجائب

المخلوقات وغرائب الموجودات من أنفس مؤلفاته · كان يوصى بادامة النظر فى عجائب صنع الله ، ولامراء فى انه كان مستغرقا بالنظر فى آيات الله البينات فى مصنوعاته ، وغرائب ابداعه فى مبتدعاته · مسترشدا بقوله تعالى : « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها . وما لها من فروج** » · يقول : « وليس المراد من النظر . تقليب الحدقة نحوها · فان البهائم تشارك الانسان فيه . ومن لم ير من السماء الا زرقها ومن الأرض الا غبرتها . فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالا منها ، وأشد غفلة ، كما قال تعالى : « لهم قلوب لايفقهون بها . ولهم أعين » الى أن قال : « أولئك كالأنعام بل هم أضل · يقول والمراد من النظر التفكر فى المعقولات ، والنظر فى المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها ، لتظهر له حقائقها ، فانها سبب اللذات الدنيوية ، والسعادات الأخروية · وكلما أمن النظر فيها ، ازداد من الله تعالى ، هداية ويقينا ، ونورا وتحقيقا · والفكر فى المعقولات لا يتأتى الا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات ، بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس فعند ذلك تنفتح له عين البصيرة . ويرى فى كل شىء من العجب ما يعجز عن ادراك بعضها ·

يقول أبو عبد الله ، لقد حصل لى بطريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة فأحببت أن اقيدها لتثبت ، وكرهت الذهول عنها مخافة أن تفلت · وانه ليوصى قارىء كتابه بادىء ذى بدء ، بأنه اذا أراد

أن يكون على ثقة مما في كتابه ، فليشمر للتجربة ، وإياك أن تفتر أو تمل اذا لم تصب في مرة أو مرتين ، فاذا دلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع • فاذا رأيت مغناطيسا لايجذب الحديد ، فلاتنكر خاصيته ، واصرف عنايتك الى البحث عن أحواله ، حتى يتضح لك أمره •

ولاشـــك أن القـارىء لكتاب القزوينى « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » انمـــا يتملكه الاكبـار والاعجاب بدقة الملاحظة ، والبراعة في العرض ، والسلامة في الاستنتاج والاستقراء مما يؤيد رأى « روزنتال » في علماء المسلمين ، من أن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين ، حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ماتعلموه من التجربة ، أو أخذوه من الرواية ، وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرين مبدعين ، فانهم قد أتوا بأعمال رائعة في كثير من العلوم والرياضيات والفلك •

وقد قدم القزوينى لكتـــابه بمقدمات أربع ، تعتبر دستورا رائعا لكل مشتغل بالعلم عامة وبالعلوم الطبيعية بصفة خاصة ، فضلا عن الاشارة الجامعة فيها الى موضوعات الكتاب • قال : « لننظر الى الكواكب وكثرتها ، واختلاف ألوانها ، فان بعضها يميل الى الحمرة ، وبعضها يميل الى البياض ، وبعضها الى لون الرصاص ، ثم الى ســـير الشمس وفلكها مدة سنة ، وطلوعها وغروبها كل يوم ،

لاختلاف الليل والنهار ، ومعرفة الأوقات ، وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ، ثم الى جرم القمر ، وكيفية اكتسابه النور من الشمس ، لينوب عنها فى الليل ، ثم الى امتلائه وانمحاقه ، ثم الى كسوف الشمس وخسوف القمر ثم الى ما بين السماء والأرض من الشهب والغيوم والرعود والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب • ولنتأمل السحاب الكثيف المظلم ، كيف اجتمع فى جو صاف ، لا كدورة فيه ، وكيف حمل الماء وكيف تتلاعب به الرياح وتسوقه وترسله قطرات متفاصلة ، لاتدرك قطرة منها قطرة ، ليصيب وجه الأرض برفق ، فلو صب صبا لفسد الزرع ، بخشه وجه الأرض • ثم الى اختلاف الرياح ، فان منها ما يسوق السحب ، ومنهـا ما ينشرها ، ومنها ما يجمعها ، ومنها ما يعصرها ، ومنها ما يقتلع الأشجار ، ومنهـا ما يروى الزرع والثمار ، ومنها ما يجففها • ثم لننظر الى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال ، منها ما ينطبع كالذهب ، والفضة والنحاس والحديد ، والرصاص ، ومنهـا مالا ينطبع كالفيروز والياقوت ، والزبرجد ، وكيفية استخراجها وتنقيتها ، واتخاذ الحلى والآلات والأدوات منها ، ثم الى معادن الأرض، كالنفط والقير والكبريت ، وأنواع النبـات وأصناف الفواكه ، ثم لننظر الى أصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير ويقوم ويمشى ، وانقسام الماشى الى ما يمشى على بطنه ، وما يمشى على رجليه ، وما يمشى على أربع ، والى

أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقهـــا وأفعالها كالنمل والعنكبوت والنحل ، وكيف تبنى بيوتها ، وتجمع غذاءها. وادخارها القوت لوقت الشتاء ، وحذقها فى هندستها .
يقول القزوينى : ان من يشاهد خلية النحل لتزداد حيرته عندما يعلم أنه من عمل النحل ، ومن حيث أن ذلك الحيوان الضعيف قد صنع هذه المسدسات المتساوية الأضلاع ، التى عجز عن مثلهـــا المهندس الحاذق مـــع الفرجـــار والمسطرة ، ومن أين لها هذا الشمع الذى اتخذت منـــه بيوتها المتساوية ، التى لا تخالف بعضها بعضا كأنهـــا أفرغت فى قالب واحد ، ومن أين لها هذا العسل الذى أودعته فيها ذخيرة للشتاء ، وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها ، وأنها تفقد فيه الغذاء ، وكيف اهتـــدت الى تغذية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطا بالعســـل من جميع جوانبه ، فلا ينشقه الهواء ولا يصيبه الفأر .

وجعل القزوينى يتابع الدعوة الى النظر فى الأرض وكيف كانت قرارا لصنوف المعادن والنبات والحيوان ، وأحكام أطرافها بالجبال الشامخات ، تمنعها أن تميد والى ابداع أوشال المياه ليخرج منها قليلا قليلا ، فتتفجر منها العيون ، وتجرى منها الأنهار ، والى خلق اللؤلؤ فى صدفة تحت الماء ، والى انبات المرجان فى صميم الصخر تحت الماء .

ويتحدث القزوينى فى المقدمة الثانيـــة عن تقسيم المخلوقات ، فيقول المخلوق ، كل ما هو غير الله ســـبحانه

وتعالى ، وهو اما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير . والقائم بالذات ، اما أن يكون متحيزا أى يشغل حيزا ، او لم يكن ، فان كان متحيزا فهو الجسم ، وان لم يكن فهو الجوهر الروحانى ، ثم يتكلم عن الادراك للكليات والادراك للجزئيات ، وعن الأعراض المحسوسة بالحواس الخمس ، فالمحسوسات بالقوة الباصرة كالأضواء والألوان، وبالقوة السامعة كالأصوات والحروف ، وبالقوة اللامسة كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والخشونة الملامسة ، وبالقوة الشامة للطيب والنتن .

وفسر القزوينى فى مقدمته الثالثة لكتابه ما يقصده بالغريب ، فقال هو كل أمر عجيب ، قليل الوقوع ، مخالف لمألوف العادات ، ومعهود المشاهدات كمعجزات الأنبياء ، كانشقاق القمر ، وانفلاق البحر ، وانقلاب العصا ثعبانا ، وكون النار بردا وسلاما ، وابراء الأكمه والأبرص، واحياء الموتى ، ومنها الاصابة بالعين . فان العائن اذا تعجب من شى كان تعجبه مهلكا للمتعجب منه بخاصية لنفسه لا يوقف عليها . ومنها اختصاص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب ، لا يوجد مثله لغيرها ، كما ذكر أن فى الهند قوما اذا اهتموا بشىء اعتزلوا عن الناس ، وصرفوا همتهم الى ذلك الشىء ، فيقع على وفق اهتمامهم . ومنها أمور سماوية كانقضاض شهب يستضىء الجو منها ، وسقوط جسم ثقيل من الجو أو سقوط ثلج أو برد فى غير أوانه ،

ومنها صيرورة اليبس بحرا وصيرورة البحر يبسا ، أو وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها ، ومنها الزلزلة أو ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده هناك ، ومنها تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله ٠

وتحدث القزوينى فى المقدمة الرابعة عن تقسيم الموجودات ، فقال ، ان كل موجود سوى الواحد سبحانه مخلوق ، وأن احصاء الموجودات غير ممكن ، ولكنها منقسمة الى ما لا نعرف أصلها ، ولا يمكننا النظر فيها ، والى ما نعرف جملها ولا نعرف تفصيلها ، وهى منقسمة الى ما لا يدرك بالبصر ، كالعرش ، والكرسى ، والملائكة ، والجن ، والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها ٠ وأما المدركات بالبصر ، كالسماوات والأرض ، وما بينهما مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها ، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها ٠ وما بين السماء والأرض وهواء الجو ، مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها ، يقول فهذه أجناس المشاهدات ، وكل جنس ينقسم الى أنواع ، وكل نوع الى أصناف وهكذا ٠

وقد قسم القزوينى كتابه الى مقالات ، كل مقالة تشمل عدة فصول ٠ وقسم الكون الى علوى وسفلى ، وانما عنى بالعلوى ، ما يتعلق بالسماء من كواكب وبروج ومدارات ومجرات والشمس والقمر ، وتحدث عن كواكب

الزهرة والمريخ والمشترى وعطارد ، وزحل وعن كسوف الشمس وخسوف القمر ، قال عن القمر ، ان جرمه كثيف مظلم ، قابل للضياء الا القليل منـــه ، على ما يـرى فى ظاهره ، فالوجه الذى يواجه الشمس مضىء أبدا ، وقال فى خسوف القمر ، ان سببه توسط الأرض بينـه وبين الشمس ، فيقع فى ظل الأرض ، ويبقى على سواده الأصلى فيرى منخسفا ، وعلى الخسوف الكلى والخسوف الجزئى للقمر ، وربط القزوينى بـين حركتى المد والجزر وبـين تحركات للقمر ، قال اذا صار فى أفق من آفاق البحر ، أخذ ماؤه · فى المد مقبلا مع القمر ، ولا يزال كذلك الى أن يصير القمر فى وسط السماء ذلك الموضع ، فاذا صار هناك انتهى المد منتهاه ، فاذا انحط القمر من وســـط سمائه جزر الماء ، ولايزال كذلك راجعا الى أن يبلغ القمر مغربه ، فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه ، فاذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ، ابتدأ المد مرة ثانية ·· وهكذا فيكون كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيها ، فى ذلك البحر مدان وجزران · كما ربط بين زيادة القمر ونقصانه وبين كثير من الظواهر والمظاهر عنـــد الانسان والحيوان والأسماك والحشرات والأشـــجار والفواكه والرياحين ويقول ان هذا الأمر ظاهر عند أهل الطب ، وان ذاك معروف عند أهل الطب ، وان ذاك معروف عند أهل الفلاحة ·· وهكذا ·

وقال عن المجـرة ، هى البياض الذى يوجـــد فى

السماء ، وأن العرب تسميها أم النجوم ، لاجتماع النجوم فيها ، ويقول ان المنجمين سموا عطارد منافقا لكونه مع السعد سعدا ، ومع النحس نحسا ، وسموا الزهرة السعد الأصغر لأنها فى السعادة دون المشترى ، وأضافوا اليها الطرب والسرور واللهو ، وعلل كسوف الشمس بأن القمر يكون حائلا بين الشمس وبين أبصارنا ، لأن جرم القمر كمد فيحجب ما وراءه ، لأن الخطوط الموهومة الشعاعية التى تخرج من أبصارنا متصلة بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر ، فاذا وقع جرم القمر فى وسط المخروط فتنكسف الشمس كلها ، وقد ينكسف بعضها اذا كان للقمر عرض ينحرف المخروط عن الشمس .

وتحدث عن أثر الشمس على الأحياء والانسان والشجر والنبات ، والحركة اليومية للأزهار وأوراق النبات ، وتابع القزوينى حديثه عن الكواكب السبعة وذكر أبعادها وحجوم أجرامها ، ودورات أفلاكها وما الى ذلك من معلومات لها قيمتها الفلكية ، وهو دائم الاشارة الى أرصاد بطليموس الفلكى المشهور ، وتكلم عن الكواكب الثوابت ، وعن كوكبات الدب الأكبر ، والدب الأصغر والتنين وفيقاوس ، ولعوا والفكه ، والجاثى ، والسلياق ، والدجاجة ، وذات الكرسى ، سياوس ، وممسك الأعنة ، والحور والحية والسهم والعقاب ، والدلفين ، وقطعة الفرس ، والقوس الأعظم ، والمرأة المسلسلة ، والفرس

التام ، والمثلث ، والثور ، والأسد ، والعذراء ، والسرطان، والتوأمين والعقرب والميزان، والجدى ، والدلو ، والسمكة، والقيطس ، والجبار ، وغيرها ، وعدد كواكب كل كوكبه وبين ما يتصل بها من اعتقادات وآراء ·

وتكلم أبو عبد الله القزويني عن الزمان ، وعرفه بأنه مقدار حركة الفلك ، وهذا على رأى أرسطاطاليس وأصحابه ، وعند غيره مرور الأيام والليالى ، ويعرف اليوم بأنه الزمان الذى بين طلوع الفجر وغروب الشمس وأما الليل فهو الزمان الذى بين غروب الشمس وطلوع الفجر ، ومجموعهما أربع وعشرون ساعة ، لاتزيد ولا تنقص ، وكلما نقص من النهار زاد من الليل ، وكلما نقص من الليل زاد من النهار · يقول وأطول ما يكون النهار ، سابع عشر حزيران (يونية) ، فيكون النهار خمس عشرة ساعة ، والليل تسع ساعات » وهو أقصر ما يكون ، ثم يأخذ النهار فى النقصان، والليل فى الزيادة الى ثامن عشر أيلول (سبتمبر) ·· وكذلك تحدث عن الأيام والشهور ، ثم انتقل الى الكلام عن الفصول فقال عن الربيع ، يستوي الليل والنهار فى الأقاليم ويعتدل الزما ويطيب الهواء ، ويهب النسيم ، وتذوب الثلوج ، وتسيل الأودية ، وتمد الأنهار ، وتنبع العيون وتتلألأ الزهور ويورق الشجر ، ويتفتح النوار ، ويخضر وجه الأرض ، وتدر الضروع ، وتنتج الحيوانات ويطيب العيش لأهل الزمان ، وبمثل ذلك تحدث عن الصيف والخريف والشتاء

وعندما عالج القزويني الكائنـــات السفلية ، وهي المتصلة بالأرض ، بدأ بتعريف العناصر ، وقال انها أصل المولدات من نبات وحيوان ومعادن وتابع أرسطو وغيره في القول بأن العناصر أربعة ، وهي : النـــار والهواء والماء والتراب ، وقال انها تنقلب بعضها الى بعض • فالهواء ينقلب ماء ، كما يشاهد في القطرات المجتمعة على سطح الاناء ، سببه أن الهواء المحيط بالكون يصير باردا بسبب برودة الجمد فيصير ماء ، والماء ينقلب هواء كما يشاهد من البخارات الصاعدة بتأثير حرارة الشمس أو النار •

وتحدث القزويني عن النار والهواء والسحاب والرياح والأمطار ، فقال ان أصول الرياح أربعة وهي الشـــمال والجنوب والصبا والدبور ، قال وريح الشمال باردة ، لأنهـــا آتية من منطقة لاتسامتها الشمس أصـــلا بل ولا تقترب منها ، والجنوب حارة رطبة ، لأن هبوبها من ناحية خط الاستواء : والجو مفرط هنـــاك لأن الشمس تسامتها في السنة مرتين ، والصبا قريبة من الاعتدال ، وتكون مائلة الى البرودة في أول النهـــار والدبور تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصبا ، كما تهب في آخر النهار ، وعرف الزوبعة بأنها الريح التي تدور على نفسها شبه منارة •

وقال في تكوين السحاب ، ان الشمس اذا أشرقت على الماء ، حللت منه أجزاء لطيفة مائية تسمى بخارا فاذا ارتفع البخار في الهواء حتى يبرد الزمهرير ، تداخلت

أجزاؤه فى بعضها البعض وتكون السحاب • ثم تحدث عن الرعد والبرق ، والهالة وقوس قزح ، وعن البحر والمحيطات والجبال والأنهار والعيون والآبار • وقال عن البحار العظيمة ، انها بمثابة خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى أن المكشوف من البوادى والجبال ، انما هى بمثابة جزيرة صغيرة فى بحر عظيم ، وبقية الأرض مطمورة فى الماء • وقال نهر النيل ، ليس فى الدنيا نهر مثله • يصب من الجنوب الى الشمال ، ويمد فى شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب ، وحدد طوله بمسيرة شهر فى بلاد الاسلام ، وشهرين فى بلاد النوبة ، وأربعة أشهر فى الصحراء الى ما خلف خط الاستواء •

يقول القزوينى مفرقا بين المطر ، والثلج والبرد والضباب والطل والصقيع ، اذا كان الهواء دفيا وارتفع البخار فى الغيوم ، وتراكمت منه السحب ، طبقات بعضها فوق بعض ، كما ترى فى أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف فاذا عرض لها برد الزمهرير ، من فوق ، غلظ البخار ، وصار ماء ، وانضمت أجزاؤها فصارت قطرا ، عرض لها الثقل فأخذت تهوى من أعلى السحاب ، وتلتئم القطرات الصغار بعضها الى بعض ، اذا أخرجت من أسفلها قطرا كبارا ، فان عرض لها برد

مفرط فى طريقها ، جمدت ، وصارت بردا قبل أن تبلغ الأرض ، وان لم تبلغ الأبخرة الى الهواء البارد ، فان كانت كثيرة صارت ضبابا وأن كانت قليلة وتكاثفت ببرد الليل، ولم تجمد نزلت طلا ، وان انجمدت نزلت صقيعا ، يقول وان كان البرد مفرطا أجمده البخار فى الغيم ، وكان ذلك ثلجا ، لأن البرد يجمد الأجزاء المائية ، ويختلط بالأجزاء الهوائية وينزل برفق ولذلك لايكون له وقع شديد مثل ما للمطر والبرد ٠

ويعلل حدوث الرياح بتموج الهواء وتحركه ، وأن الأدخنة التى تصعد من الأرض بتأثير الشمس اذا وصلت الى الطبقة الباردة ، اما أن ينكسر حرها ، وتقصد النزول فيموج بها الهواء وتحدث الريح ، وان بقيت على حرارتها تصاعدت ثم تردها الحركة الدورية الى أسفل فيموج بها الهواء وتحدث الريح ؛ يقول وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفى الهبوب ، فتمنع احداهما الأخرى عن الهبوب ، فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة ٠

ويقول عن الهالة ، انها تحدث من أجزاء صقيلة صغيرة ، حدثت فى الجو ، وأحاطت بغيم رقيق لطيف ، لايستر ما وراءه ، وانعكس من الأجزاء الصقيلة ، شعاع البصر الى القمر ، لأن ضـوء البصر وغيره اذا وقع على الصقيل ينعكس الى الجسم الذى يكون وضعه من ذلك

الصقيل كوضع المضيء منه اذا كانت جهته مخالفة لجهة المضيء ، فسيرى ضوء القمر ولا يرى شكله ، لأن المرآة اذا كانت صغيرة لا يرى شكل المرئي فيها . بل ضوءه . فيؤدى كل واحد من تلك الأجزاء ضـــوء القمر ، فترى دائرة مضيئة هي الهالة . وأما قوس قزح ، فانما يكون اذا حدثت في خلاف جهة الشمس أجزاء مائيـــة شفافة صافية من نزول مطر أو بخار . وكانت الشمس قريبة من الأفق المقابل ، ووراء تلك الأجزاء جسم كثيف مثل جبل أو سحاب مظلم ، أو اذا استدبر الناظر الشمس . ونظر الى تلك الأجزاء صارت الشمس في خلاف جهة الناظر ، فانعكس شعاع البصر من تلك الأجزاء الى الشمس لكونها صقيلة ، فالشمس دون الشكل ، فأدت ضـوءا ، لكونها أجزاء صغيرة فكل واحد يؤدى ضوء الشمس دون شكلها . وسبب استدارة القوس وقوع الأشياء مستديرة ، بحيث لو جعلنا مركز جسم الشمس قطب دائـــرة على محيط فلكها ، لكانت تلك الأجزاء مسامتة تلك الدائرة . وتختلف ألوان القوس ، فنرى قسيسا بعضها أحمر وبعضها أخضر ، وبعضها أرجواني ، وأغلب الأوقات لونها مركب من ثمانية ، وقد نرى فيها بعض الأوقات أصفر أيضا .

وعرض القزويني للبحار ومياهها وعجائبها ، فتكلم عن البحر المحيط والبحر الأبيض وبحر الصين وجزائره الكثيرة العجيبة ، منها جزيرة الراتج ووصف أشجارها

وورودها ناقلا عن محمد بن زكريا ، وجزيرة راسنى ، وجزيرة الوقواق وجزيرة البنان ، وأطوران ، ومن عجائب هذه الجزائر طائر يسمى خرشنة أكبر من الحمام ، وسمكة تزيد على ثلاثمائة ذراع ، وسلاحف استدارة كل سلحفة عشرون ذراعا ، وسكمة « الأطم » وجهها كوجه الخنزير ، وسمكة تلد وترضع ، وأخرى كخلقة البقر تلد وترضع .

ثم انتقل أبو عبد الله الى بحر الزنج وقال هو بحر الهند بعينه وجعل يعدد جزائره وعجائبه مثل سمكة المنشار ، وسمكة البال وغيرها .

وتكلم عن الحيوانات المائية ، فقال منها ماليس له رئة منها ماله رئة ، وان لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته ، وجلودا صالحة لوقايته ، فجعل أبدان حيوان الماء ، اما صدفية صلبة ، لا يعمل فيها الشيء الحاد ، أو فلوسية أو ما شاكلهما غطاء ووقاية وجعل لبعضها أجنحة وأذنابا ، تسبح بها في الماء ، كما يطير الطائر في الهواء ، وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها ، ثم ذكر بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم ، واستشهد بآراء الشيخ الرئيس الرازى وغيرهما فذكر أرنب البحر ، وألبس ، وانسان الماء والبال والتمساح والتنين والدلفين وقال انه حيوان مبارك ، اذا رآه أصحاب

المراكب استشروا ، وذلك انه اذا رأى غريقا فى البحر ساقه نحو الساحل ، وربما دخل تحته وحمله الى الساحل. مباركة ، يحبها البحريون ، والصيادون ، والسرطان حيوان والرعاد سمكة صغيرة مخدرة جدا ، والدامور ـ سمكه مباركة ، يحبها البحريون والصيادون ، والسرطان حيوان لا رأس له وعينه على قفاه ، وفمه على صدره وله ثمانية أرجل ولمكانه بابان أحدهما الى الماء ، والآخر الى اليبس ، والسقنقور ، قال ابن سينا انه ورل مائى يصطاد من نيل مصر ، وقال غيره انه من نسل التمساح ، وذكر فى خصائصه عجبا والسلحفاة حيوان برى وبحرى وهو ما نسميه الآن برمائى قال قد تكون عظيمة جدا حتى يظنها أصحاب المراكب جزيرة ، وفرس الماء وكلب الماء والقاطوس والقطا والكوسج وغير ذلك كثير جدا من حيوانات البحر وأسماكه .

ثم عاد أبو عبد الله الى وصف الأرض ، وذكر اختلاف آراء القدماء فى هيئتها ، واستدارتها ودورانها وعرض لآراء فيثاغورس في هذا الشأن ، ويقول انها فى فلكها مستوية الجذب من جميع الجهات ، وكيف أن خط الاستواء يقسمها الى نصفين ، أحدهما شمالى والآخر جنوبى ، وقسم كلا منهما الى أقاليم منه المعمور وغير المعمور لفرط البرد مثلا ، وقال ان هذه الأقسام ليست طبيعية ولكنها وهمية وضعها الملوك الأولون الذين طافوا بالربع المسكون من

الأرض ليعلم بها حدود البلدان مثل افريدون والاسكندر وأردشير .

وتكلم عن الزلازل فقال ان سببها الأدخنة والأبخرة التي اذا اجتمعت تحت وجه الأرض الصلب لايكون فيه منافذ ومسام ، فاذا قصدت البخارات الصعود ، ولا تجد المنافذ والمسام ، نهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم ، عند شدة الحمى ، وربما ينشق ظاهر الأرض ، ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة .

وأسهب أبو عبد الله في ذكر فوائد الجبال ، وقال انها رواسي وأوتاد ، وقال ان وجودها يحصر البخار المرتفع من أغوار الأرض ، ويمنع الرياح أن تسوقها ، الى أن تبرد فينزل مطرا وثلجا ، قال والجبال في أجرامها مغارات وأهوية وأوعال وكهوف ، تقع على قللها الأمطار والثلوج ، وينصب الى تلك المغارات والأوشال ، وتبقى فيها مخزونة، وتخرج من أسافلها من منافذ ضيقة هي العيون ، تسيح منها العيون على وجه الأرض ، فينتفع بها النبات والحيوان والباقي ينصب الى البحار ، ثم ذكر الجبال الشهيرة رتبها على حروف المعجم ، وتحدث عن مواضعها وارتفاعاتها ونباتها وحيوانها ومعادنها منها جبال الشأن وأبي قبيس. وأروند وأسيرة وألتر ، واندلس وهجنة والبرانس .

ونيسون ، ونبير ، حراب ، جوش ، الحارث ، وحــرا
والحيات ، ونهاوند ، ورحنوى ، والرقيــم ، وزغوان
وسيلان ، والسراة ، والســماق وشيام الصور والصفا
وشكران ، وصقلية ، وطورسينا والطير ، وقاســيون ،
وفدفد وهرمز وواسط .

كذلك ذكر الأنهار وخواصها وأطولها وما تمر به
من بلاد ، وقد رتبها كذلك على حروف المعجم ذكر منها أتل
وأذربيجان وأسفار وآنه ، وجيحون ، وحصين المهدى ،
ودجلة ، والذهب ، والرس وزور وشـاف ، وصقلاب ،
والعاصى ، والفرات ، والكر والملك ومهران والنيل ، وذكر
قصة عروس النيل وعمرو بن العاص ومنعه اياهـم من
قذفها ، ثم سؤاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وتوكيده
له أن هذا لايكون فى الاسلام .

ثم تحدث عن العيون والآبار وعن كيفيــة تجميع
مياهها فى باطن الأرض ، ثم انبثاقها بذاتهــا أو منحها
والأولى عين والثانية بئر وأن منها حـارة وباردة وعفصية
وشببية وكبريتية ، ثم سرد عددا من العيون والآبار رتبها
على حروف المعجم وذكر بعض خواص مياهها وما يروى عن
بعضها من غرائب ، وما لبعضها الآخر من صفات علاجية
مثل عيون أذربيجان وباميان وجاج ، ووادان ، وجبل ملطبة
ورأس الناعور ونهاوند وزعر وشعيرم وطبرية والعقاب ،

وغرناطة وعرنة ، والفـــرات وقراور والمشقف ومنكور وهرماس وذكر من الآبار بئر أبي كنود وبابل وبدر وبنحن وقنصورة ، وجندق ، ودماوند ، وذروان ، زمزم ، وعروة ، وغـــرس الكلب والمطـرية ، في قرية من قرى مصر ، ونيسابور ، وهنديان ، ويوسف الصديق وغيرها .

ثم تصدى أبو عبد الله ـ كما يقول ـ للنظــر في الكائنات وهي الأجسام المتولدة من الأمهات ، وهي اما أن تكون نامية أو لم تكن وهي المعدنيات ، وان كانت ناميه ، فاما أن تكون لها قوة الحس والحــركة أو لم تكن فهي النبات ، وان كانت فهي الحيوانات ، يقول فأول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فالمعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء ، وآخرها بالنبات ، والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالانسان ، والنفوس الانسانيـــة متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية ، ومثل هذا الترتيب ذكره ابن مسكويه وابن خلدون وغيرهما .

وكلامه في المعدنيات ، نادى به قدامى الكيمائيين من أمثال جابر والرازى ، قال هي أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنـــة تحت الأرض ، اذا اختلطت على ضروب مـــن

لاختلاطات مختلفة ، في الكم والكيف ، وهي اما قوية
لتركيب أو ضعيفة التركيب ، وقوية التركيب اما أن
تكون متطرفة ، أو غير متطرفة ، وهي الأجساد السبعة ،
لذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب
الخارصين ، والتي لا تكون متطرفة قد تكون في غاية
للين كالزئبق ، وقد تكون في غاية الصلابة كالياقوت ،
التي تكون في غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات كالزرنيخ
الكبريت ، والأجسام انما تتولد من اختـــلاط الزئبق
بالكبريت على اختــــــلاف في الكم والكيف ، وقال عن
لأجسام السبعة هي الفلزات ، ثم تكلم عن خواصها واحدا
احدا ، ثم تكلم عن الأحجار المختلفة ، من أثمد وأسفيداج
البورق وتدمر وتوتيـا وجزع واسمر انجوني وأبيض
أحمر وأخضر وأسود وأغبر وحجـر البحر ، والحصـاة
الخطاف ، والسم ، والسامور ، والفار ، والعاج، والقمر ،
المطر والكلب ، وحجر دهنج ، وحجر در وحجر الزجاج
حجر الزنجفر ، وحجر طلق ، وعقيق ، وعنبري وعطاس،
حجر قلطار ، وقلقديس ، وفيهار ، وفيلفوس ، حجـــر
ل يتخذ من الأشــنان بأن يحـرق حتى يصـــير رمادا
لازورد ، وحجر كهربا ، ومعناه جاذب التبن والهشيم ،
هو صمغ شجر الجوز الرومي وحجر لاقط الرصـــاص
لاقط الذهب ، ولاقط الشعر والماس وحجر مغناطيس
حجر مرجان ، ونطرون وياقوت ويشب ، ويقطـــان ،

وغيرها ، وقد أسرف أو عبد الله فى ذكـــر خواص هذه الأحجار ومنافعها فى علاج كثير من الأمراض وكان كثير الاستشهاد بآراء أرسطو وجالينوس ٠

ثم انتقل الى الكلام عن النبات ، فقال انه متوسط بين المعادن والحيوان بمعنى أنه خارج عن نقصانه الجمادية الصرفة التى للمعادن وغير واصل الى كامل الحس والحركة اللتين اختص بهما الحيوان وقسم النبات الى قسمين شجر ونجم ، فالشجر ماله ساق وهو بمثابة الحيوانات العظام ، والنجم بمثابة الحيوانات الصغار ، ثم تكلم عن الأشجار مرتبة على حروف المعجم ، فذكر الآبنوس وخشبه صلب جدا . والآس ، والاترج والاجاص ، وأزورخت ، وأم غيلان وهى شجرة من عضاة البادية كثيرة الشوك ، والبان ، حبها أكبر من الحمص مائل الى البياض ، طيب الرائحة وله لب دهنى ، قال ابن ســـينا انه ينفع من البرص والكلف والبهق ، والبطم ثمرتها الحبة الخضراء ، والبلسان شجرة توجد بمصر دون غيرها فى عين شمس وذكر لدهنها منافع طبية كثيرة ، والبلوط والتفاح والتنوب والتــوت والتين والجميز والجوز وخسرودار ، شجرة عظيمة جدا

خشبها خولنجان ، والخروع والخلاف شجرة الصفصاف خشبها خفيف جدا ، والخوخ والدردار ، والدلب من أعظم الأشجار وأعلاها وأبقاها ، اذ طالت مدتهـا تفتت جوفها وتبقى ساقها مجوفة ، والرمان والزيتون والسرو والسفرجل والشاهبلوط ، والصندل والصنوبر والضرو والطرفا ، العرعر العشر والعفص والعناب . والغبيراء . والغرب والفستق ، والفلفل ، والقرنفل ، والقصب . والكافور ، والكرم ، والكمثرى واللبـان ، واللوز ، والليمون ، والموز ، والنبق ، والنخل ، والورد والياسمين .. وقد اختط القزوينى لنفسه خطة لم يحد عنها فى وصف هذه الأشجار والنباتات ، فبعد أن يذكرهم ما يميز النبات يعرف فوائده الطبية ناقلا عن ابن سينا أو غيره ، وكثيرا ما يورد بعض القصص الذى يؤيد ما يذهب اليه من آراء ، ولا مراء فى أن الفوائد الطبية التى ذكرها يحتاج بعضها الى التجريب ليثبت نفعه أو يهمل أمره .

ثم تحدث عن القسم الثانى من النبات وهو النجم وقال النجم كل نبات ليس له ساق صلب مرتفع مثـل الزروع والبقول والرياحين والحشائش ، ثم أوردها مرتبة

على حروف المعجم ، وقد اهتم فيها كذلك بالفوائد الطبية ، أكثر من اهتمامه بالصفة النباتية ، فذكر آذان الفأر ، والأذريون ، والأذخر ، والأرز ، والاسفاناخ والاسقيل وهو بصل الفأر والاشترغار والاشنان وهو الحرض الذى يغسل به ، والافنتين والاقحوان والبابونج والباردنجويه ، والبادروج ، والبنفسج والبهار والبيش والترمس والثوم والجاورس وهو الدخن والجرجير ، والجزر والحرف وهو حب الرشاد والحرشف الحرمل والحسك والحلبة والحمص والحنظل والحنطة والخبازى والخريق والخردل والخس والخشخاش ، قال وعصارة المصرى منه تسمى أفيونا والحطمى والخيار والخيرى والدفل والرازيانج الريباس والريحان والزعفران والساذج والسذاب ، والسلق والسمسم والسنبل والسوسن والشبت وشجر مريم والشعير وشقائق النعمان والشلجم والشونيز والشيلم والشيح والصعتر ، والطرخون وعدس وعنب الثعلب ، والفجل والعرفج وقاتل الذئب والقتاد والقثاء والقنب والقنبيط والقيصوم والكراث والكتان والكرسنة والكراوية والكزبرة واللبلاب ولسان الحمل واللصف واللوبيا والنيلوفر والناردين ونانخواه ونرجس ونسرين ، ونعنع

وهليون وهندبا وورس ويقطين وهو القرع ، وقد نسب القزيني الفوائد الطبية لابن سينا والرازى وغيرهما ٠

وعندما انتقل أبو عبد الله الى الكلام عن الحيوان ، قال انه في المرتبة الثالثة بعد المعادن الباقية على الجمادية والنبات المتوسط بين المعادن والحيوان بحصـــول النشر والنمو وفوات الحس والحركة ، أما المرتبة الثالثة فهى للحيوان الذى جمع بين النشر والنمو والحس والحركة ٠

وقد خالف القزويني بعض من تقدموه من العلماء العرب فى عدم ذكر الأشعار التى وردت في وصف هذا النبات أو ذلك الحيوان ، أو على الأقل لم يذكر الكثير منها ، وانما كانت دراساته وملاحظاته دراسات عالم أكثر منها دراسات أديب ، فضلا عن أنه جامع معلومات وخاصة الطبية ، والوصفات ، فهذا فيه جلاء للبصر ، وذاك مدر أو مقو أو ما أشبه من توصيفات ، ينسبها أغلب الأمر الى ما نقل عنهم أو حكى له منهم ، وفى كثير من الأحيان كان يتبع هذه الوصفات بأن يقص حكاية تؤيد ما يذهب اليه أو لعله يريد بها أن يؤيد ما ذهب اليه لدى قارئه ٠

وعلى هذا النحـــو من لطف في السرد ، ودقة فـي الاستقراء والوصف ، عالج القزويني الانسان ، ووصف أعضاءه عضوا عضوا ، وصف الغضاريف والأعصـــاب ورئة وقلب وكبد وطحال وسرارة ومعدة وكلية ومثانة ، والشرايين والأوردة ، والجلد والأعضاء الداخلية من دماغ وكذا الأعضاء الخارجية من رأس وعين وأذن وأنف وفم ولسان وأسنان وغيرها .

ثم انتقل القزويني الى وصف الحيوان ، وقـال ان آذانها خلقت فوق رأسها ، ذات حركات شتى ، لتحاذى بالثقب جهات شتى ، ويرد الهواء اليها فتكون فائدة السمع أكثر ، وعلل صغر أذن الفرس ، وكبر أذن الحمار بأن الأول أذكى حسا ، فيكفه من قرع الهواء دون ما يكفي الحمار لصفاء حس الفرس ، وكدورة حس الحمار ، وكذلك طول ذنب الأول ، لأن احساسه بلذع الهوام فوق احساس الحمار ، فجعل طاقات ذنبه طويلة ، ليطرد بها الهوام عن بدنه ، يقول ولما كان المطلوب من الدواب السير صلبت حوافرها ، ليمكن المشي الكثير عليها ، وليكون ســـلاحا دافعا للعدو ، فان كل حيوان له حافر لا قرن له لأن المادة

لا تفي بهما جميعا ، وكل حيوان له قرن لا حافر له ، بل له ظلف ، ثم ذكر الدواب مبتدئا بالفـــرس ، قال أحسن الحيوانات شكلا بعد الانســان وأرشـــد الدواب عدوا وذكاء وله خصال حميدة ، وأخلاق مرضية ، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء ، والبغل متولد من فرس وحمار ، ان كان الذكر حمارا فشديد الشبه بالفرس ، وان الذكر فرسا فشديد الشبه بالحمـــار ، ليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار ، وكذلك صـــوته ومشيه بين الفرس والحمار ، ولا شك في عقمها ، والحمار حيوان خدر الأعضاء كدر القوى الا الحافظة فانه اذا مشى بطريق لا ينساه بعد ذلك ، ثم ذكر من الحيوان النعم وقال ان هذا النوع شديد الانقياد ، ليس له شراســة الدواب ولا نفرة السباع ومن شأنها الصبر على التعب والجوع والعطش والثبات ، قال عن « الابل » حيـــوان عظيم الجسم شديد الانقياد ، ينهض بالحمل ويبرك به ، تأخذ بزمامه فأرة وتقوده الى حيث شـــاءت ويتخذ على ظهره بيت يقعد الانسان فيه ، مع مأكوله ومشروبه وملبوسه ، والوسادة والملحفاة والنمرقة ، كما في بيتـــه ، ويتخذ للبيت سقف ، وهو يمشي بكل هذا ، وربما يصبر على

الماء عشرة أيام ، وانمـــا طولت رقبته ليستعين بها على النهوض ، بالحمل الثقيل وينـــال الأرض يرعى منها ، لتكون الرقبة مناسبة للقوائم وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به وكذلك تحدث عن البقر والبقر الوحش والجاموس والزرافة والضأن والمعز والظبي والابل وغيرها ، وأنه ليتبع كل حيوان بفصل مستقل عن خواص أجزائه ، ويسرد المنافع الطبية والوصفات العلاجيـــة لبعض اعضاء هذا الحيوان أو ذاك ٠

ثم انتقل الى نوع آخر من الحيوان هو السباع ذكرها أيضا مرتبة على حروف المعجم بدأ بابن آوى ثم ابن عرس والأرنب والأسد وهو أشد السباع قوة وأكثرها جـــراءة وأعظمها هيبة وأهولها صورة ، لأنه لايهـــاب شيئا من الحيوان ، ولا يوجد حيوان له شدة بطشه ، لا يأكل من صيد غيره ، والببر حيوان هندي أقوى من الأسد والثعلب والخنزير والدب والدلق والذئب والساد حيوان على صفة الفيل الا أنه أصغر منه جثة ، وأعظم من الثور والسنجاب والسنور وسنور البر ، والسرباس والضبع وغالا ، والفهد والفيل حيوان ظريف بهي نبيل رشيق والقرد والكركدن...

والكلب ، حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ، دائم الجوع والسهر يخدم كثيرا ويدفع اللصوص ، قال الجاحظ من ذكاء الكلب ، أنه اذا اتبع الظباء يعرف التيس من العنز ، يتشمم مواضـع الصيد والنمر ، والنامور حيوان وحشى نفور له قرنان كالمنشارين ، وربما تشعب قرناه .

ثم تحدث عن الطير ، آلاتها أجنحتها ، ومن العجيب أن طيران الطير في الهواء ، وعدم سـقوطه والهواء أخف منه ، وهو أثقل منه ، فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجناح والجثة نقص منها أعضـاء كثيرة توجـد في غيرها من الحيوانات التى تلد وترضع ، ويخف عليهـا النهوض ويسهل الطيران كالأسـنان والآذان والكرش والجلد التخين ، واذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه الى أسفله كنسبة يمينه الى شماله ، فان كان طويل الرقبة تطول أيضا رجلاه ، واذا قصرت رقبتـه قصرت رجلاه ، قال الجاحظ كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرازير والعصافير ، ومن الطيور ما أعطى العجب فى لونـه كالطـاووس والببغاء والنعـام وأبى براقش ، ومنها ما أعطى فى خلقه كالحمام ، ومنهـا ما أعطى فى حنجرته كالبلابل والقنابر ، ومنها ما أعطيت العجب فى

تركيب أعضائها كالديكة واللقالق والكراكى والنعائم ومنها ما أعطى فى صفته كالخطـاف واليقوط القنبرة ثم أورد القزوينى طائفة من الطيور رتبها على حروف المعجم وذكر أهم صفاتها ومميزاتها واذا استعصى عليه ذكـر بعض الخواص قال لم يحضرنى شيء من خواصـه فاورد (أبو براقش) طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، فى حجم اللقلق يتلون بالأحمـر والأخضر والأزرق والأصفر ، و (أبو هارون) طير فى حنجـرته أصوات مليحة شجية ، يفوق النوائح ويروق كل معنى ، لا يسكت بالليل البتة ، ويصيح الى وقت الصباح ، والأوز والبازى ، أشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقـا ثم ذكر الباشق وهو أصغر الجوارح جثة والببغاء ، حسن اللون جدا ، والشكل ، أكثرها أخضر اللون وقد يكون أحمر وأصفر وأبيض ، ومنقاره عريض ولسانه كذلك ، يسمع كلام الناس ويعيده ، اذا أرادوا تعليمها وضعوا مرآة فى قفصها ويتكلم أحد خلف المرآة فتعيد ما تسـمع وتتعلم سريعا ، والبلبل كثير الألحان ، والبوم ذليل بالنهـار ولكن بالليل لا يقدر عليه شيء من الطيور و « الحبارى » قالوا ما فى الطيور أشد بلها منها ، لأنهـا تترك بيضها وتحتضن بيض غيرها والحـدأة ــ طائر خسيس يغلبه

أكثر الطيور ، والحمام هو الطير المشهور الهادى الى أوطانه من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكاء ، فاذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ، ويكون صعوده مدورا ، فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده ، والخطاف طائر يتبع الربيع وذكر الخفاش بين الطيور وقال ان بصره ضعيف يسوءه شعاع الشمس ، يشبه الفأر ، جناحه جلدة رقيقة ، وله أسنان وللأنثى ثدى كما للفأر يرضع ولده ، والديك يقول انه أكثر الطيور شهوة وعجبا بنفسه ، يبشر بطلوع الفجر ، والدراج طير مبارك كثير النتاج محدب الظهر مبشر بالربيع ، والدجاجة والرخمة والزاغ ، والزرزور ، والزمج والسمانى ، والصقر والشاهين ، والشفتين ، الشقراق والصاف ، والطاووس ، والطهوج والعصفور والعقاب والعقعق والغراب والغرنيق ، من طيور الماء القواطع والغواص والفاختة والقبج والقنبرة والقمرى والقوقيس والكركى والكروان واللقلق ومالك الحزين والمكاء ، والنمر سيد الطيور ، والنعامة والهدهد والوطواط واليراعة .

وقد تناول القزوينى كل طير فى فصل خاص . يذكر فيه خواص أجزائه ، وما أظنه جرب هذه الخواص.

ولعله شايع العامة في ذكر بعضها ، وأن أيد كلامه في بعض الأحوال بنسبة الى علماء سابقين ، ولسنا ندعو الى تجريب ما قاله في العصر الحديث ، فهذا يسقى لمن يعربد في سكره فيتأدب ، وذاك مرارته تطعم للصبي فيحسن خلقه ، وهذا عظمه يعلق على الصبي فيبقى محبوبا ، وذاك رماده يزيل بياض العين وهذا يكتحل به فيزيد في حدة البصر ، وهذا مرارته تزيل الغشاوة والظلمة من العين اكتمالا ، وذاك مرارته تقطر في الأذن تزيل الطرش وهذا الطير لسانه يزيل العطش ، وذاك مرارته يسعط بها فتحد البصر ، وهذا كبده بشوى ويطعم للصبي يأمن الصرع ، الى غير ذلك من الوصفات الكثيرة التي تتخلل كتابه ولا أظن أن قد قام على صحتها دليل ، ولا أظن القزويني قد قام باجراء كل هذه التجارب ، وكذلك فعل القزويني بالنبات ، فهذا خشبه ينفع في كذا ، وهذا دخانه يصلح كذا الى غير ذلك من الوصفات التي رأيت أن أعفي القارىء من ذكرها ، واكتفيت بسرد عينة منها .

ثم عرض القزويني لنوع آخر من الحيوان أسماء الهوام والحشرات ، قال انه لايمكن ضبط أصنافه لكثرته ، وبين رأيه في حكمة الخالق في وجودها ، ثم ذكر بعضا

منها مرتبة على حروف المعجم ، كالأرضة والأفعى والبرغوث والبعوض.. وقال انه على هيئة الفيل ، وكل عضو خلق للفيل فللبعوض مثله مع زيادة جناحين ، والثعبان ونقل عن ابن سينا قوله أصغر أصنافها على ما ذكر خمسة أذرع. وأما الكبـــار فمن ثلاثين ذراعا الى ما فوق ، والجـراد والحرباء ، والحلزون ، والحية ، والخراطين والخنفساء ودود القز ، وديك الجن والذباب والرتيلا ، وهى دويبة تشبه العنكبوت والزنبور وسـام أبرص ، والسلحفاة ، وهى حيوان برى بحرى أو كمـا نقل اليـوم برمائى والصناجة والضب والظربان والعقرب والعنكبوت والفأر ، والفراش والفسافس والقمل والقنفذ والنحل والنمـل والورل ـ ويتابع القزوينى ذكر خواص بعض الأعضاء أو الأجزاء من كل هذه الهوام والحشرات التى ذكرها ، فيقول هذا دمه يكتحل به يحد البصر ، وهذا قلبه يورث الشجاعة ، وذاك يزيل الحمى ، وغيره يقوى البدن .. الى غير ذلك من الوصفات التى رأيت أن أعفى القارىء منها ، فأغلبهـا لم يقم عليه دليـل فاما انه شايع العامة فى اعتقاداتها ، أو أنه حكى حكايات ليست يقينيـة ، ومبلغ يقينه فى بعض الحالات أن ينسب الى ابن سينا أو الرازى أو غيرهما بعض هذه الوصفات .

ثم اختتم أبو عبد الله كتـــابه بخاتمة خصصـــها لحيوانات عجيبة الأشكال ذكر بعضها فى أقســـام ثلاثه مثل يأجوج ومأجوج . وأمة بجزيرة الزنج ، وأمة بجزيرة الرامنى فهؤلاء رؤوسهم رؤوس الناس ، وأبدانهم أبدان الحيات . وآخرون وجوههم وجوه الناس وظهورهم ظهور السلحفاة . وكلها روايات يعوزها الدليـــل والمشاهدة الحسية ، وفى قسم ثان تكلم عن حيوانات مركبـــة من حيوانين مختلفين كالبغل من الفرس والحمار وآخـر بين الذئب اولضبع ، يقـــال له السمع ، وثالث بين الكلب والذئب يقال له الديسم ، وفى القســم الثالث تكلم عن العمالقة والأقزام .

وبعد ، فهذا عرض سريع موجز لكتـــاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، كمـــا كتبه أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزوينى ، وقد لفت هذا الكتاب انظار طلاب العلم فى الشرق والغرب على السواء ، لوفرة مادته وسلاسته فى العرض . وقد طبع على هامش كتاب حياة الحيوان للدميرى . ثم أعيد طبعه عدة مرات . كما ترجم الى الفارسية والى الألمانية وطبع فى ليبزج ، كذلك

ترجم الى الفرنسية ، وطبع في باريس في أوائل القرن الماضي ، كما ترجم الى اللغة التركية ونشر بها منذ حين ، وتوجد نسخ خطية من كتابه في دار الكتب الشهيرة في العالم • وقد اهتم المستشرقون بدراسة أعمال القزويني واضافاته الى علوم الفلك والنبات والحيوان والجيولوجيا •

وللقزويني كتب أخرى لا تقل روعة عن كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات منها آثار البلاد . وأخبار العباد ، يتناول علم الفلك وبعض الأحداث التاريخية ، وكتاب آخر يشبه خطط المقريزى فيه وصف رائع للقاهرة •

أحسب أن هذه الخلاصة الوافية والعرض الموجز لكتاب أبي عبد الله القزويني • تعطى القارىء فكرة عن طريقة عالمنا العربي في البحث ، ومنهاجه في التأليف والسرد ، وتدلنا على افتنان العلماء المسلمين بالمعرفة الموسوعية ، فيجمع العالم في كتاب واحد أشتاتا من المعارف عن البحار والجبال والأنهار والكواكب والكوكبات والأسماك والحيوانات والنباتات والهوام والطيور ،

ولا تفوته الناحيــة الطبية فى كل ما يذكر من معلومات وهى ألوان من المعرفة تدلنا على أن عالمنا العربى كان واسع الاطلاع شامل المعرفة مما يجعله بحق أحد العلماء العرب الذين يعتز بهم على مر العصور والدهور ٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٤٩٤٠

ISBN — 977 — 01 — 4411 — 8

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى

خمسة وعشرون قرشا

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

